الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

قرش	
٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٥١ — ١٠ المحرم سنة ١٣٥٧ — أول مارس سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

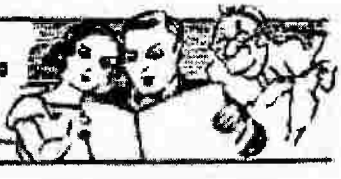

فهرس العدد

صفحة			
١٧٠	السكرة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
١٧٩	كابتن شالون	للكاتب الانجليزي أرثر كونان دويل	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١٨٧	انتحار	للكاتب الفرنسي جورج مورنير	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
١٩٠	الرجل المثل	للكاتب القصصي جلبرت كيث تشسترتن	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٢٠٣	ذكرى امرأة	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب عبد الحليم العتيرى
٢٠٩	حاجى بابا أصفهانى	للكاتب الانجليزي « جيمز موريه »	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الكرة

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

فى مثل ذلك اليوم يحق الفرح . كيف لا وكان يوم عودة النجل المحروس من أوربا بعد غياب أربع سنين ذهبت فى طلب العلم ؟ ... واحتفلت أسرة الحلبى بالعود الحميد احتفالا جمع أشتاتها المبعثرة فى أحياء القاهرة ، فساهم فيه الأعمام والعمات والأخوال والخالات ، وتبودلت فيه التهانى ودارت أحاديث الأشواق والمنى ... ولكن — علم الله — لم يكن حمدى الحلبى مسرورا ألبتة ، بل لا نغلو إذا قلنا إنه كان غاضبا محنقا منيظما ، لا يرغب فى أن يرى وجها من الوجوه التى تحييه بالابتسام والكلام ، ويؤذيه غاية الايذاء أن يضطر إلى مجاملتهم بالحديث تارة وبالضحك تارة أخرى . ولعل التحية الوحيدة التى صدرت عن فؤاده كانت تلك التى حيا بها أمه ، أما أبوه فكان يتمتع بأكبر قسط من سخطه أو كان على الأصح العلة الحقيقية لحنقه وتبرمه ، ولذلك كان يرمقه بنظرات تنطوى على الحقد لم يخف مرماها على الرجل الرزين وإن خفيت عن أعين الحاضرين

ولذلك لم يدم بينهما الوداد — وهو ما يوجبه اللقاء بعد البعاد — طويلا ، وانتهز حمدى فرصة انفراده بوالده فى اليوم الثانى وسأله بلهجة تنم على الحنق والانكار :

« لماذا أجبرتنى على العودة ولما أتم تعليمى ؟ »

فتنهد الرجل حزينا أسيفا لأنه لم يسمع هذه اللهجة الوقحة منذ أربع سنين ، ولكنه لم يغضب لأنه كان أعلم الناس بمن يخاطبه ، ولم يرد أن يستحث الصدام ، فتشاغل بالنظر إلى بعض الأوراق الموضوعة على مكتبه ، وضاعف عدم اكتراثه من حنق الشاب فاستطرد يسأله بحدة :

— لماذا أجبرتنى على العودة ؟.. ولماذا هددتنى إذا لم أصدع بأمرك بمنع النقود عنى ؟

ولم يجد الرجل بدا من القول ، فقال بهدوء :

— لأنى لا أريد أن تضيع أموالى فى حانات باريس !

فتظاهر الشاب بالدهشة وتساءل :

— ومن قال لك إن أموالك تضيع فى حانات باريس ؟

فحدجه الرجل بنظرة فاحصة وقال :

— جميع الذين سافروا لزيارة معرض باريس هذا العام تشرفوا بمشاهدتك وأنت تراقص الفاجرات وتترنح ثملا !

فقال حمدى بغضب :

— يؤسفنى أن أقول إن معلوماتك كاذبة !

ولم يغضب الأب لأن الحوادث علمته أن يعامل

ابنه معاملة الأطفال أو المجانين وقنع بأن هز كتفيه استهانة وقال :

— انتهى الأمر وفشلت التجربة

فصاح الشاب به غاضباً مهتاجاً :

— لا تقل فشلت ... إنك تهدم مستقبلي بيديك.

فلم يعبأ الرجل بغضبه وقال بصوت أسيف :

أنت ياحمدى مثال للطيش والنزق ، والحق أنى فى أحيان كثيرة أخالك مجنوناً أو معتوهاً ... أتذكر حياة تلمذتك الأولى المتعبة ؟ ... كنت آنئذ طفلا حدثا ، ولكن ما كنت ترى ليلا إلا فى الحانات ، والمواخير ، وكنت بين أصحابك جواداً كريماً تجود عليهم بما تملك يدك ، أما أهلك الأقربون فكنت لهم سوط عذاب فلم يسلم من أذاك منهم أحد لا إخوتك ولا أمك ولا أبوك ، ومهما يكن فقد نجحت فى البكالوريا بعد مر المحاولات وكانت معجزة لا أدرى كيف حدثت ، ولكنك منيت بفشل قاهر بعد ذلك فى كلية الحقوق حتى تخرج منها أقرانك وأنت ما تزال فى السنة الأولى ، وا كتشفت على حين فجاة أن مستقبلك فى فرنسا لا فى مصر ! . وألححت على فى السفر لنيل أجازة الحقوق ، ويعلم الله أنى ما وثقت بوعودك قط ولكننى إزاء محاولتك الانتحار وتضرعك والدتك وافقت مغلوباً على أمرى على السفر وقلت لنفسى : فلأجرب هذه المرة أيضاً لعل حسن الحظ يخيب تقديرى ولكن واأسفاه صدق تقديرى وخاب حظى ...

فزاغ بصر الشاب وقال محتجاً :

— أنت تسىء بى الظن هذه المرة بغير وجه حق .

— كلا ياسيدى ، أنا أعلم كل شيء على حقيقته وسأبين ذلك بالدليل القاطع .... إنك سافرت لتلتحق بكلية الحقوق والتحقت بها فعلا فى بادىء الأمر ثم تحولت فجأة إلى كلية الآداب فلماذا فعلت هذا ؟ ... أرجو ألا تسارع إلى تكذيبى فالذى أخبرنا بذلك صديق أخيك همام الدكتور فهيم وهو كما تعلم كان زميلك فى كلية الحقوق وقد عاد هذا العام بعد أن نال الدكتوراه ... ! فقل لماذا فعلت هذا ؟

وغلب الشاب على أمره ، وبدت على وجهه الحيرة ، ودل مظهره حيناً على أنه يغالب الضحك ، وقال : « رب إنسان لا يعرف حقيقة ميوله إلا بعد التجربة ، وهذا ما حدث لى بالضبط ، فقد نظمت قصيدة أول عهدي بباريس فى وصف الصين نالت إعجاب أصدقائى جميعاً ، فحملنى إعجابهم على التحول إلى كلية الآداب ... فما الذى يغضبك فى هذا ؟ »

فهز الرجل رأسه هازئاً وقال :

— أنت لا يمكن أن تعرف لنفسك ميلا ، لأنك متعدد الميول ، متقلب الأهواء ، هذه هى الحقيقة التى تعلمتها من حياتك الغريبة . ألا تذكر — وأنت طالب ثانوى — أنك كنت صادق النية على الالتحاق بالقسم العلمى ؟ ... وكانت أعز آمالك أن تصير طبيباً فيما بعد .. ولكن حدث أن سمعت محامياً يلقى خطاباً فى مجتمع عام فتغيرت آمالك دفعة واحدة والتحقت بالقسم الأدبى وأبيت إلا أن تصير محامياً ...

ومع ذلك فهذا لا يعنيني كثيراً بقدر ما يعنيني أن تنجح في أي فرع من فروع الحياة ... فلم تثابر على دراسة الآداب ما دمت اكتشفت في باطنك شاعرية مجيدة ... ؟

فقال الشاب بحماس مصطنع :

— إني أثابر يا أبي ... ولولا أنك قطعت عليَّ طريق ...

ولكنه قاطعه قائلا :

— كلا ... كلا ... لقد ثبت لدي أنك انقطعت انقطاعاً كلياً عن الجامعة منذ عام أو أكثر ...

فقال بحدة :

— هذا كذب ...

— بل هذا ما قاله لي جميع من أوصيتهم بالاستعلام عنك من زائري معرض باريس ، وهو ما يؤكده الدكتور فهيم وإن شئت واجهتك به ... لقد فشلت التجربة الأخيرة ...

وكانت المسألة بالنسبة إلى الأب لا تعني سوى فشل تجربة نهائية ، أما بالنسبة إلى حمدي فكانت مسألة حياة أو موت ، أو هكذا صورها له خياله المجنون . ولم يكن الذي ينزع بنفسه إلى باريس أنه ودع بها آمالاً محفوفة بالمخاطر ، أو مستقبلاً يرجو أن يتعهده بالجد والمثابرة . ولكن الحق أنه ترك بها قلبه المفتون ، وحبه المضطرم ، وجنته المفقودة ، ودنيا أحلامه ، ومرتع جنونه ؛ حتى لكأنه ترك بها عالماً طليقاً لا يخضع لقانون طبيعي أو تقليد إنساني ...

وحمدي هذا إنسان غريب ، وربما أدى تعريفه خير أداء أن نقول إنه جهاز عصبي حساس تتحكم فيه غرائز وعواطف طليقة من أي عقل أو إرادة . أو أن نقول — إذا أردنا أن نرضي علماء النفس — إن عاطفته تسخر عقله وإرادته ، ولكأنه عربة ينطلق بها جواد جامح ومقعد السائق منها خال ، فهو دائماً منفعل ومتأثر إما لحزن أو لفرح كيفما تهب الرياح ، ولن تظفر في حياته بنظام مما يوصي به العقل ، أو بعمل أو إنتاج مما تحدثه الإرادة ؛ وإنما تزدحم العواطف والأحاسيس في وجدانه كما تزدحم الأخيلة الشاردة في رأس الحالم دون أن تترك أدنى أثر ، ومن هنا جاء تناقضه وتقلبه اللذان جعلا منه مخلوقاً مضحكاً يستدر الرثاء في كل حين ، فكان يتوهج انتباهه أحياناً عن ذكاء وقاد تخاله نبوغاً وموهبة ، ثم لا يلبث أن ينطفئ شعاعه ويظلم نوره فتظنه غبياً وبلاهة ، وكان يندفع في أوقات كثيرة إلى العمل بهمة تبشر بالنجاح وسرعان ما ينقلب قبيل موعد الامتحان مزعزع الثقة مفرق العزيمة فيفر من صرامة الواقع إلى لذة الأحلام في الحانات ومواطن الريب ، وربما بلغت به الحماسة حد الثورة والتمرد ، فيقود المظاهرات ، ويرمي رجال البوليس بالحجارة ، ويحطم المصابيح وعربات الترام فيمد بحق من زعماء الطلبة ، ولكن إذا حدثته عن ثورته بعد يوم أو يومين هزئ بك وبنفسه وبمبادئ الوطنية والأخلاق جميعاً ؛ ومن هنا أيضاً تعددت مشروعاته وتنوعت مقترحاته وتوزعته الأحلام ، فتارة

بعد المدة لانشاء ناد رياضي كبير ، وتارة يعمل فكره لاخراج مجلة أسبوعية ، وثالثة يدعو إلى تكوين جمعية لتهذيب الأخلاق أو تشجيع التجارة الوطنية ، وربما خطا الخطوات الأولى لتأليف كتاب أو كتابة مقالة ، ولكنه لا يثابر على شيء ولا يثبت على حال

على أنه كان شخصاً محبوباً ، يتمناه عارفوه ويعشقون محضره لخفة روحه وحضور نكتته وغرابة أطواره ولكنه كان مع أصدقائه كما هو فى حياته مثال التقلب والجنون ، فقد يلازمهم أياماً وأسابيع ثم يهجرهم هجراً طويلا بلا أسف كأنه يعدم بعض لذاته أو أهوائه أو مشروعاته ، ولكن ندر أن يجد عليه صديق لأنه فى رأيهم جميعاً الطفل الطائش الذي لاتثريب عليه مهما قال أو فعل ، ولأنه الانسان الطيب الذى لا يعلق بقلبه مكر أو خبث أو سوء نية، ومع هذه الطيبة البالغة والظرف النادر فقدحاول الانتحار مرة وضرب أباه بالكرسى فى مرة أخرى

وبهذه النفس الغريبة سافر إلى باريس طلباً للعلم الذى يئس منه فى القاهرة ! وكان جاداً فيما اعتزم لأنه كان يود لو يختم حياته الدراسية ختاماً مشرقاً ، والتحق بكلية الحقوق بديجون وهو يتوقد حماسة ونشاطاً ، وزار باريس يوماً وشاهد السين فهاجت قريحته ونظم أبياتاً شعرية فى وصفه كانت أول ما نظم فى حياته من شعر ، وما كانت صادقة الوزن ولا ذات جمال أو رواء ولكن أثنى عليها — لعلة — جميع من سمعها من أقرانه ، وأطربه الثناء أيما طرب وسأل نفسه فى حيرة ألا يجوز أن يكون شاعراً بالفطرة ؟ ثم أجاب نفسه قائلا : بلى إنه لشاعر وإن مستقبله الحق لفى الأدب والفن لا فى القانون.

وتحول بلا أدنى تردد إلى كلية الآداب بالسربون وانتقل من ديجون إلى باريس ! وأقبل على دراسته الجديدة بمثل ما أقبل على دراسته الأولى من الحماسة والعزم واستمع إلى المحاضرات بشغف عجيب ، وما زال مثابراً مجتهداً حتى اليوم السعيد الذي التقى فيه بمرجريت ، الفتاة الريفية الحسناء ، التى جاءت باريس لزيارة أختها . فكان حب ، لأن عادته المستبدة أن يحب كل امرأة يلقاها فى طريقه ولكنه كان على أية حال أول غرام له فى باريس فكان له فى قلبه لحن جميل جديد ، واستبقى الفتاة فى باريس ، وعاشرها على شريعة الهوى وسنة الطبيعة ونسى بها الدنيا والدين والشعر والآمال وأخذت حياة باريس تنعكس على روحه — خلل عينى مرجريت الساجيتين — جنوناً وفتوناً وهياماً وإباحية. ولما كانت الفتاة فقيرة بائسة فقد آمن بالشيوعية ولم يحاول قط فهمها أو دراستها ولكنها استقرت فى قلبه ثورة على الأغنياء — ناسياً أو متناسياً أنه واحد منهم — وكفراً بالله ورسله وازدراء للأخلاق والفضائل . واستسلم للغرام بين أحضان حبيبته وعاش حالماً كافراً مجنوناً حتى بعثه أبوه برسالة حازمة خيره فيها بين العودة حالا إلى مصر أو الموت جوعاً فى باريس ، وجن جنونه وثار وغضب ولعن وهدد وتوعد ، ولكن شيئاً من هـذا لم يجده نفعاً . واضطر فى النهاية إلى

هجر عشه السعيد وهو يعنى نفسه وحبيبته بعود قريب ... ووجد نفسه أخيراً فى القاهرة وفى البيت القديم الذى رأى فيه الدنيا أول ما رأى . وعاد إلى جو التقاليد والدين والهدوء واستقر فى المملكة الصغيرة التى يتولاها أبوه ويحكم ... وأحس بضيق وسقم .. كيف يرضى بالقاهرة بعد باريس .. كيف يطمئن إلى الظلام بعد النور ؟ ... كيف يخلو إلى برودة الوحشة بعد حرارة الحب ؟ .. كيف يروض نفسه على الظلم والدين والتقاليد بعد أن ذاق جنون الحرية والالحاد والاباحية ... ؟

وها هوذا والده يعرف الحقيقة من أفواه العيون التى بثها حوله فى باريس ويصر على أن التجربة فشلت ، ويقسم ألا عودة إلى فرنسا بعد اليوم ... فما العمل ؟ ... هل يتنامى مرجريت ؟ ... هذا مستحيل ، بل هذا جور لن يسكت عليه أبداً

ولاح له أن يدعوها إلى مصر ، وفعلا كتب إليها يقترح عليها الحضور ، ووافقت الفتاة ولكن برز لها عائق من ناحية السلطات التى أبت عليها دخول مصر ولجأ فى يأسه إلى آخر وسيلة فأراد أن يعقد عليها ولكن ذلك لم ينفعه شيئاً ونصح له رئيس (قلم الباسابورتات) بالعدول عن نيته وسواها له ...

وسقط فى شرك القنوط وتلفت يمنة ويسرة فلم يجد سوى والده ، لماذا لا يعيد عليه الكرة؟ عسى أن يلين له بعد شدة ويرضخ بعد عناء ، وفاتحه فى مسألته مرة أخرى وتضرع إليه وتوسل ووعده ومناه ، ولكن الرجل كان ثابتاً كالجبل ، قاسياً كالصخرة ، وقال له بحزم :

— لا تعد إلى هذا الحديث مرة أخرى !

وانفجر حمدى غاضباً وتلبسته حالة جنون غير غريبة عنه وصاح بأبيه :

— لماذا تعترض سبيل نجاحى بقسوتك ؟ ... لماذا تريد أن تستذلنى لارادتك العمياء ؟ .. أنا أعلم بالسبب الذي يجعلك تستهين بآمالى ومستقبلى ... هو حرصك المقيت على مالك الذى لا يعد ولا يحصى .. أنت رجل شحيح بخيل يقتل فيك حب المال الأبوة ..

ووجم الوالد وأخذ ، وانتفض قلبه غضباً ولكن لم يبد على وجهه أثر مما يتقد فى نفسه ، وقنع بأن قال بهدوء ساخراً :

— يا لها من فراسة !

— أتسخر منى ؟ ... يلذ لك أن تهزأ بى فى بأسائى ! .. حسن ، سأعرف كيف أنتقم منك ...

سأنتحر ... نعم سأنتحر وسترى ...

فقال الرجل بهدوء غريب :

— افعل ما بدا لك

فنظر إليه بعين محنق مغيظ وقال :

— أيهون عليك موتى من أجل بضعة جنيهات؟

فقال الرجل :

— نعم ...

هل يعنى الرجل ما يقول ؟ ... هل أشفى منه على اليأس حقاً ؟ .. أما هو فلم يهدد بالانتحار هذه المرة وهو يعنى ما يقول لأن للحياة عنده قيمة جديدة لم تكن لها من قبل ... كيف لا وفيها مرجريت

الطيبة ؟ ... ولكن ما بال أبيه يقف حجر عثرة في سبيل سعادته ؟ ! ... ياله من رجل كريه ! ...

أيجوز أن يحيا شيخ كبير ليشق بحياته شاب يافع مثله ؟ .. ولم لا يذهب ويخلى السبيل لغيره ؟ .. إنه أب يكره ابنه فينبغي أن يكرهه ابنه كذلك ... هذا هو العدل ...

ولم ينتحر ولم يشرع في الانتحار ، وقنع بالتسكع في عماد الدين وبمراسلة مرجريت ، وبانتظار ما يأتي به الغد غير مستسلم كل الاستسلام إلى اليأس .

وفي مرة — وكان انقضى على عوده شهر وأيام — قابل أخاه هام في عماد الدين وعلم منه أنه ذاهب لصرف صك لوالده بمبلغ خمسمائة جنيه ...

وابتسم حمدي ساخراً وتنهد من قلب مكلوم ... لو عهد إليه الرجل بصرف هذا المبلغ لكشف عنه الكرب في دقائق معدودات ، ولكنه لا يثق به ولن يثق به أبداً ... خمسمائة جنيه ! ... ياله من مبلغ ... ترى لماذا سحبه الرجل البخيل ؟ ... إن عادته أن يضع في المصرف لا أن يسحب منه ، فلماذا غير عادته على كبر ... ؟ هل خرف ... ؟ !

وعند المساء عاد إلى البيت ، وكان أبوه في حجرة مكتبه بالطابق الأول ، غارقاً في بذلته ومعطفه ، ومكباً على الأوراق المبسوطة أمامه ، فألقى عليه نظرة سريعة وصعد إلى حجرته ... وخلع طربوشه وجلس على حافة فراشه يستريح

لا ريب أن والده تسلم الخمسمائة الجنيه ، وأنها الآن تسكن مكاناً في حافظته أو في درج مكتبه ... ذلك الورق الساحر الذي يسيطر على المصائر ويتحكم في الأقدار ، وتتعلق به آمال الانسانية ، ما أحراه أن يطير به إلى القلب الذي يخفق له على سيف البحر الأقصى ويلج به أبواب جنته المفقودة ومنية أحلامه : باريس ... يا عجباً ... أيجمعه ومفتاح سعادته بيت واحد ... ؟ أتكون سعادته قريبة منه إلى هذا الحد ولا يستطيع لها طلباً ؟ ... ولكن كيف السبيل إليها ؟ ...

وكانت خواطره من قبيل الهذيان ولكنه ألقى سؤاله الأخير بشعور من يعني ما يقول ، ومن يجد في الأمر جداً : نعم كيف السبيل إلى الأوراق الساحرة ... ؟

هل يعاود الرجاء والتوسل ؟ ... أم يستعين بوالدته ؟ ... وبدا له اليأس خلف هذين الرأيين فعدل عنهما وهو يتنهد حسرة وألماً ...

لماذا لا يستولي على المال بنفسه ؟ ... ينتظر في حجرته حتى يصعد أبوه إلى مخدعه ، ويهبط في حذر إلى حجرة المكتب ويعالج بابها ويفتش أدراجها ، ولكن ما العمل إذا وضع الرجل ماله في حافظته ؟ تتعقد ولا شك المسألة وتتوافر الصعوبات ولكن لا يستحيل ابتغاء الوسيلة إلى غايته ، إن والده يعلق ثيابه على مشجب قريب من الباب ، فاذا فتح الباب في سكون استطاع أن يبلغ بيده جيوب البذلة والمعطف وأن يبحث فيها عن ضالته ...

وتحفز لتنفيذ أفكاره فوضع الطربوش على رأسه وأطفأ المصباح ، ولبث ينتظر في الظلام صعود أبيه

وشاع فى أطرافه الاضطراب والقلق وأنهك رأسه هوس الجزع ، ولكن لم يداخله أدنى تردد لأنه من طبعه إذا اندفع أن يندفع بلا تروٍ ولا تدبر ، ومضى يبرر نيته لنفسه فيقول ما من بأس فى أن يستولى على بعض مال أبيه ما دام له حق ثابت فى هذا المال ، وما له لا يلجأ إلى الحيلة أو القوة إذا كان أبوه يعترض سبيل سعادته بالقسوة والعدوان ؟! وطال انتظاره فى الظلام ، وجعل يقترب كل دقيقة من الباب ويلصق أذنيه بثقبه يتسمع وينصت ، ثم يذرع الحجرة ذهاباً وإياباً ...

ثم سمع وقع أقدام آتية من نهاية الردهة الخارجية فأرهف أذنيه وكتم أنفاسه ، هى أقدام والده بلا ريب ، وها هو ذا باب مخدعه يفتح ثم يغلق ، ما بقى إلا الانتظار حيناً ريثما ينام الرجل ، وكانت ضربات قلبه تشتد وتضطرب ، كلما تقدم به الوقت ودنا من تحقيق عزمته الآثمة

وسمع الباب يفتح مرة ثانية ويغلق ، ووصل إلى أذنيه المرهفتين وقع أقدام خفيفة لم يستطع تبين وجهتها ، فقطب جبينه متحيراً ... ترى هل غادر أبوه الحجرة لحاجة ؟ ... أم هى أقدام غيره ؟ ... ينبغى أن ينتظر وقتاً آخر وإن كان الانتظار قاسياً مرعباً ... ولكنه لن يتردد عن غايته ، سيهبط إلى المكتبة ويفتشها وإذا لم يفز منها بطائل فسيقتحم مخدع أبيه ... ولكن ما عسى أن يفعل إذا تنبه النائم على حركته وهب يدافع عن أعز شىء فى حياته ؟ ينبغى أن يكون صارماً هو الآخر فى الدفاع عن سعادته ... سيقول له : أنا أريد مالاً ولا بد من الحصول على المال فإياك أن تعترض سبيلى ! وإذا تغلب فى الرجل حب المال على حب الحياة فسيكون قاسياً مجرماً ، لقد ضربه مرة بالكرسى فى حالة غضب ولن يحجم عن ضربه مرة أخرى ولو احتاج الأمر إلى صرعه ... وطال الصمت والسكون ، وجثم سلطان النوم على البيت ، فأدار الأكرة وفتح الباب بهدوء وانسل خارجاً يسير على أطراف أصابعه وبالغ فى الحذر وهو يجتاز بحجرة والده ، وهبط السلم فى تهيب ، فلما أن انتهى إلى الطابق الأول تنفس الصعداء وسار باطمئنان لأن هذا الطابق يخلو فى الليل ، ولما اقترب من باب حجرة المكتب رأى لدهشته النور يشع من أعلى بابها ، فاستولى عليه الانزعاج وهم بالعودة ... والظاهر أنه أحدث حركة لأنه سمع صوتاً يعرفه حق المعرفة يسأل من داخل الحجرة قائلا بقوة :

— من فى الخارج ؟

فتوقف عن الحركة وخانته حيلته فرد بسرعة : « أنا حمدى ... » فقال الرجل « تعال .. أدخل .. »

وعض شفته من القهر وتقدم إلى الباب يائساً وفتحه ودخل ، ورأى والده جالساً خلف مكتبه متدثراً بعباءته المصنوعة من وبر الجمل ومخفياً رأسه إلى أذنيه فى (الطاقية) فعلم أن والده قد صعد إلى مخدعه ليغير ثيابه وأنه عاد ثانية ليستأنف عمله إلى هذه الساعة المتأخرة ... كم ذا يتعب المال ذويه ! ..

ونظر إليه الرجل بعينيه الذابلتين وسأله وهو يتثاءب :

— لعلك راجع الآن من السهرة ؟

فقال حمدى باقتضاب :

« نعم ... »

فسأله بلهجة تنم على السخرية :

« سكران كالعادة ...؟ »

فقال :

« كلا ... »

واعتدل الرجل فى جلسته وقال بهدوء ورزانة :

« جئت فى وقتك يا حمدي ، لأن عندى أخبار تهمك ، وما يهمك يهمنى بطبيعة الحال وإن كان ظنك غير هـذا ، اقترب منى واصغ إلى ... أتظن يا حمدى أنى أبغضك وأسعى إلى هدم مستقبلك ؟... أو أني أوثر ما لى حقاً على حياتك ؟ ... بئس الظن ... أنت طائش يا حمدى ولا تدرى ما ينفعك ولا ما يضرك ، وكنت دائماً مثال الطيش والرعونة .. فأجبرنى شذوذك على اليأس منك ، وها أنت ذا ترى أن أخوبك اللذين يصغرانك يسيران فى طريقهما بنجاح فأحدهما مهندس وسيكون الآخر غداً طبيباً ، وأما أنت ... ماذا أنت ؟ ... لا تدري لنفسك مستقراً ولا مستقبلا ، ومع هذا هل تظن أنى نفضت يدى منك ؟ ... قل أن يستطيع ذلك أب مثلى ... والآن فاسمع ... قابلنى أمس السنيور دافنس وكيل شركة الجير لبعض الأعمال فانتهزت الفرصة وحدثته عنك وأكدت له إلمامك التام باللغة الفرنسية ورجوت منه أن يلحقك بوظيفة محترمة في الشركة ، ولم يخيب الرجل رجائى ووعدنى بتعيينك فى وظيفة براتب قدره عشرة جنيهات فى البدء ولكنه اشترط على أن أودع تأميناً للشركة يبلغ خمسمائة جنيه كضمان فوافقت وسحبت من رصيدى المبلغ المطلوب وهو فى حافظتى الآن بنتظر موافقتك .. فما رأيك يا بطل ؟ . »

رأيه !

كيف يفكر فى رأيه الآن ؟ إنه يفكر طويلا ويديم التفكير في الظنون السوداء التى ظنها بالرجل البائس الجالس إلى جانبه ، ويتذكر صنوف الأذى التى بيتها له فى الظلام منذ حين قصير .. ثم يذكر ما كان يفعله الرجل — فى أثناء ذلك — من أجله

وغمرته نوبة عاطفية من النوبات التى يتمرض لها وجدانه كل يوم عشرين مرة ، ووخزه ضميره وخزاً أليماً ، وغلبه التأثر فأجهش وبكى كالأطفال وانتحب انتحاباً شديداً وهو يخفى وجهه بيديه عن عيني أبيه أو يخفى صورة والده عن عينيه

وابتسم الوالد فى حنان ، وربت بيده على كتفه وقال له :

« بس يا رجل ... بس ... أنت طفل بعد كل شيء ... لم تكن يا حمدى شريراً قط ... أنا أعلم ذلك ... بس ... بس ... كفكف دمعك واصعد إلى حجرتك واشبع نوماً لتستعد للكفاح الجديد فى ميدان العمل ... هيا يا رجل ... هيا ... »

ولم يستطع أن يقول شيئاً ، ولكنه أمسك بيد أبيه ولثمها بشفتيه المبللتين وغادر المكان ... وارتمى فى حجرته على الكنبة فى إعياء ، ولم يجد من نفسه رغبة فى النوم ، فجمد فى جلسته كالتمثال وتاهت نظرة عينيه فى أفق بعيد ثم أخذت عواطفه تسكن وثائرته تهدأ ووجدانه يعود إلى حالته الطبيعية ... حتى صار انفعاله ذكرى ...

لقد فتح له أبوه باب الأمل والعمل ، وحاول أن يجدد له حياته ومستقبله ، وسيكون من الغد

موظفاً في الشركة الايطالية ... فياله من تغير عجيب لم يجر له على بال !

وذكر في حزن كيف أضاع على نفسه فرصة ذهبية في فرنسا ، فلو أنه استمر في دراسة الحقوق لكان يرجى منه الآن محام مقتدر أو وكيل نيابة « قد الدنيا » ولأمكن أن يقف مع أخويه على قدم المساواة !... ومهما يكن من أمره فالواجب أن يشكر الله كثيراً ...

ومرجريت ! .. نعم ومرجريت !

أيها القارىء ، وددت لو أستطيع أن أختم القصة عند هذه النهاية لأرضى عواطف الخير في قلبك ولكن أرجو أن تذكر دائماً أن المؤلف الحقيقي للقصة هي أعصاب حمدى نفسه ...

لقد ارتجف قلبه لذكر مرجريت، إنه يحبها حباً لم يحبه امرأة من قبل ... وهي تبادله حباً بحب وعطفاً بعطف، ولولا تشدد الحكومة لكانت الآن بين يديه ناعمة البال هانئة الفؤاد فوا أسفاه !

كيف يرميها بخبر توظيفه وإقامته بمصر ؟ . . .
وما عسى أن تفعل الحمامة البائسة ؟ . .

ويخيل إليه وهو يفكر في أمرها أنه يراها رؤية العين بقامتها النحيفة وقدها الرشيق وشعرها الذهبي وعينيها الزرقاوين . وتوهم أنه يسمع صوتها ذا النغمة المطربة ... وذكر جلستها المعززة حيث كانت تقعد على (الديوان) ويستلقي هو على ظهره واضعاً رأسه على حجرها ويروحان في مناغاة رقيقة ويدها تعبث بشعره . . . كم هي لطيفة جذابة . . . فكيف يزهد في هذه السعادة ؟!

وتنهد من الأعماق حزيناً واستسلم لخواطره الفائضة ... وكان كلما أوغل في التفكير كبرت عليه حرقة الفراق وهاله البعاد ...

وتحول ببصره دون أن يدرى ناحية حجرة أبيه ... وتساءل : « ... ما المانع ... ؟! »

واندفع وجدانه في هذا المجرى الجديد بعنف كأنه نهر فائض فتح الخزان لتياره الثائر ... فعاد قلبه يدق بعنف ... وارتجفت أوصاله ... وتحفز مرة أخرى ...

الساعة تدور في الواحدة بعد منتصف الليل ... وأبوه ملازم لمكتبه كما غادره ... فما المانع ... ؟

المروءة ... والضمير ... والبر ... لا تساوي شيئاً إلى جانب السعادة المنتظرة ...

وانتفض واقفاً وأطفأ المصباح ، وفتح الباب ، وانسل خارجاً ، وسار إلى مخدع والده وفتح الباب بحذر بالغ ودخل ، وفتشت يده بسرعة في جيوب البذلة حتى عثرت على الحافظة المنتفخة ، وسلب الأوراق الساحرة ثم ردها إلى موضعها وخرج وأغلق الباب ، وقطع الردهة في خفة ، وانتظر لحظة ينصت السمع عند مبتدأ السلم ، ثم خلع حذاءه ونزل واجتاز الردهة ماراً بحجرة المكتب وهو يكتم أنفاسه ويكاد يتفرق أشتاتاً من الخوف ، ثم وجد نفسه أخيراً في الطريق الخالي ، فوضع قدميه في الحذاء على عجل ، وتنفس تنفساً عميقاً يملأ صدره المضطرم بالهواء الرطب البارد ...

وسار في طريقه بخطى مضطربة لا يلوى على شيء ... ...

نجيب محفوظ

انتظروا عدد الرسالة الممتاز

في صباح ١٣ مارس